

لقد طغت في هذه الأيام موجة من التهاون بالعلم، وزين للشباب هجر دوره، والتخفف من أعبائه وتكاليفه، ونظر كثير منهم إلى المدارس والمعاهد، لا على أنها دور أعدتها الأمة للتزود بالعلم، ولكن على أنها وسائل للحصول على الشهادات الدراسية ثم الوظائف التي تدر على أصحابها المال الرتيب، والحياة الوادعة، ولذلك يقصرون همهم على التطلع لضمان مستقبلهم، والاطمئنان إلى القيمة المادية التي تقدر بها شهاداتهم، فهم في ذلك يتنافسون، وفي سبيله يجاهدون، ولم يعد أحد يدرس العلم حبا في العلم، وتطلعا إلى التكمّل بالمعرفة، ولم تعد فضايا العلم ومسائله هي الشغل الشاغل للأساتذة والطلاب كما كانت في الماضي، وضعف المشرفون على الطلاب ضعفا يندر بأسوأ، العواقب، وأصبحنا نرى الأمور تتقرر، والمناهج توضع أو تعدل أو تلغى رعاية لمقتضيات بعيدة عن المصلحة، بل منافرة لها، وبهذا كله سارت السياسة التوجيهية في التعليم سيرا عكسيا، فأصبح الموجهون موجّهين، ومضى الركب العلى يتخبط في ظلمات الجهالات، لا يعرف طريقا، ولا يهتدى سبيلا. هذا هو السر الحقيقي في ضعف الأمة، وهذا هو أساس الداء العضال الذي منيت به، فمن أراد العلاج فليبدأ علاجه من هذه النقطة.

أن أبناء أمس هم رجال اليوم، وأبناء اليوم هم رجال الغد، فاذا ترادف على الأمة أجيال من أهلها ذلك مبلغهم من العلم، وحظهم من الدين، تلوّثوا شئونها بأيد ضعيفة، وقلوب واهنة، وعزائم منحلة، وبهذا تخبو جذوتها، وتركد ريجها، وتسرع إليها عوامل الفساد والضعف حتى تموت، أو تحيا حياة ضئيلة، خير منها الموت والفناء.

إن الأمم ليست بكثرة أفرادها وعديدها، ولكن بروحها وإيمانها وخلقها، ولعمري إن سبيل ذلك لهو العلم.؟